ظهر حديثا

نابليون لأميل لودفيج نقله عن الألمانية الأستاذ محمود إبراهيم الدسوقى ـ الجزء الأول
(دار الكاتب المصرى)

لاريب فى أن كتابة سير العظماء قد اتخذت فى القرن العشرين اتجاها لم يعرف من قبل ؛ فقد كانت كتب السير ، لاسيما فى القرن التاسع عشر ، عبارة عن أسفار مطولة مملة لايكاد يقتنيها غير أصدقاء الأسرة التى نجم منها العظيم . وكان أكثر هذه الكتب يوضع باتفاق بين الأسرة والمؤلف ، وفى هذه الكتب يحاول المؤلف أن يبرز المحاسن إن وجدت ، أو يعزو لصاحب السيرة ما يستطيع من فضائل ، ويخفى من الرذائل ما وجد إلى ذلك سبيلا .

ولكن هذا النوع الجديد من الكتابة صعد فجأة إلى مصاف الآداب ، وأقبل عليه القراء حتى كان فى وقت من الأوقات وما زال ، إلى حد ما ، أحب ألوان الأدب إلى الجمهور . وكان الفضل فى ذلك لثلاثة أسماء : ليتون ستريتشى الأديب الانجليزى ، وأندريه موروا الأديب الفرنسى ، وإميل لودفيج الأديب الألمانى ، ومنذ أخذ هؤلاء الثلاثة ينقطعون انقطاعاً تاماً ، أو إلى حد كبير ، لكتابة السير ، برزت أسماء عشرات من الأدباء الذين يعنون بهذا اللون من الأدب عناية كبيرة ، ويجدون جمهوراً كبيراً من القراء فى جميع أنحاء العالم .

لعل ليتون ستريتشى (١٨٨٠ — ١٩٣٢) كان أول هؤلاء الثلاثة ، فهو عند ما نشر كتابه « عظماء من عصر ڤيكتوريا » ورسم فيه صور أربعة من العظماء بطريقة جديدة حية ، واصفاً فضائلهم غير مغرق فيها ، ومشيراً إلى نقائصهم فى غير قسوة وفى أسلوب فكه وانسجام بديع ، أقبل الناس على كتبه كما يقبلون على قصة ، بل أقبل بعضهم عليها أكثر مما يقبلون على قصة ؛ فكثير من الناس لا يحلو لهم الخيال الصرف ، وهم فى هذا الكتاب وأمثاله يجدون بغيتهم من خيال يستعمل لاحياء الحقيقة .

كان مما أتى به ليتون ستريتشى فى كتابة السير دقة الملاحظة مع جمع الخلال الصغيرة البسيطة التى تلازم المرء فى حياته ، كما جاء بروح الفكاهة العريضة والتسامح . أما موروا الفرنسى كما ترى فى خير ما وضعه من سير ، كأرييل التى هى حياة شللى ، ودزرائيلى ، فقد جاء بتلك الأناقة التى يشترك فيها كبار الكتاب الفرنسيين ، مع توضيح الشخصية بسوق مئات الشواهد التى تفوت الملاحظ العادى .

وجاء إميل لودفيج ، الألمانى ، بشئ آخر ، لا أستطيع أن أقول إنك تجد فيه روح الفكاهة ، فليست الفكاهة من صفاته البارزة ، ولا أستطيع أن أقول إنه أنيق فى كتابته واضح التحليل ، فليس ذلك من صفاته البارزة ، وإنما ميزة أسلوبه هى تلك القوة التأثيرية الناشئة — فيما أظن — عن قلم اتجه نحو المسرح والدراما قبل أن يتجه نحو الأدب القصصى وكتابة السير .

والواقع أن إميل لودفيج كان فى مبدأ حياته لا يفكر إلا للمسرح ، ففى الثالثة والعشرين من عمره ألف دراما عن لورنزو دى مديسى ،

وفى الخامسة والعشرين فكر فى مسرحية ينظمها شعراً لنابليون ، ولم يتجه إلى كتابة السير إلا حين درس حياة بسمارك ليخرج مسرحية ، ثم بدا له أن هذه المسرحية لن تمثل على مسرح ألمانى ما كان ولهلم الثانى غريم بسمارك جالساً على العرش . وعلى ذلك وضع صورة قلمية عن بسمارك ونشرها فى سنة ١٩١١ .

وفى نهاية الحرب العالمية الأولى كان لودفيج فى الثانية والثلاثين من عمره فقصد إلى منطقة البحيرات الايطالية حيث عاش فى تلك المناظر الساحرة ، وهو يضع مؤلفاً كبيراً عن حياة جيتى .

فاميل لودفيج إذن كان بميله الأول كاتبا مسرحياً ، ولذلك تجد فى كتبه قوة فى اللفظ ومحاولة للتأثير ، كما تجد فيه ميلا إلى استعمال طرق المسرح . ويفقد أحياناً السيطرة المسرحية — كشأنه فى كتابه عن بتهوفن — فيصبح الكتاب مجرد مجموعة من النوادر ، أما فى الكتب القوية ، فانك تجد قوة تأثير بالغة ، كما فى كتابه عن جيتى ، وفى سفره عن نابليون الذى نشره فى سنة ١٩٢٢ ، وأضافته دار الكاتب المصرى إلى المكتبة العربية فى هذه الأيام . فهو مجموعة صور متتابعة ومناظر رائعة تصور حياة ذلك البطل خير تصوير .

وقد وجد المؤلف خير من ينقله إلى اللغة العربية ؛ فقد نقله الأستاذ محمود ابراهيم دسوقى وهو خير من ينقل عن الألمانية فى أمانة ودقة ومحافظة على الأصل معنى ومبنى ، مع طلاوة أسلوبه ومحاولته الأمانة حتى فى نقل الأسلوب .

وقد أبت دار الكاتب المصرى إلا أن يظهر هذا الكتاب فى صورة بديعة ، فأخرجت الصور التى ازدانت بها الطبعة الألمانية خير إخراج ، كما أن غلاف الكتاب جاء آية فى حسن الذوق . وهذه أمور يهملها الناقدون عادة ولكن من الواجب أن ينوهوا بها حتى يزداد الاهتمام بالاتقان الفنى فى الكتاب العربى .

وإنا لنرجو ألا تتوانى الدار فى إخراج الجزء الثانى قريباً ، حتى يستطيع القارئ المتشوق أن يتابع قراءة هذا السفر بأكمله .

أسامة بن منقذ تأليف الأستاذ محمد أحمد حسين (مطبعة دار الكتب المصرية) .

عندما عثر المستشرق الفرنسى درنبورج فى أثناء بحوثه وتنقيباته بمجموعة قصر الاسكوريال على النسخة الخطية الوحيدة لكتاب « الاعتبار » لأسامة بن منقذ ، رأى أمامه صورة واضحة لحياة امير من أمراء العصر الذى عرف نور الدين محمود ثم صلاح الدين الأيوبى وغيرهما من سلاطين الاسلام ، وهم الذين وقفوا فى وجه الغزوات التى شنها الفرنج على البلاد الاسلامية ، وأرادوا بها استخلاص الأماكن المقدسة من يد المسلمين وأراد الأمراء منهم أن يحققوا مطامعهم ، وأن يقتطعوا لأنفسهم ملكا فى البلاد الاسلامية .

فلقد كان مولد هذا الأمير من آل منقذ الذى وضع هذا السفر ، قبل نحو ثلاثة أشهر من تلك الدعوة التى نشرها البابا إربان الثانى من أرض فرنسا ، حين انتقل إليها خاصة من روما ، لنشر دعوته إلى الحرب الصليبية فى مؤتمر كليرمون من أعمال أوفان ، ولقد ذهب من عاصمة عرشه الدينى مصحوبا بالكرادلة والأساقفة ، فى موكب كموكب منتصر ، وكان يخطب بفصاحة واقتناع الرسل .

نجحت دعوة البابا ، واجتمعت جيوش المتطوعين من أتقياء المسيحيين والأمراء ، وقامت هذه الجيوش إلى البلاد السورية حيث

استطاعت أن تستولى على الأماكن المقدسة وأنشأ بعض الأمراء المسيحيين لهم ملكا .

فى هذا العصر المضطرب نشأ وعاش أسامة ابن منقذ سليل بيت كانت له الإمرة على بلدة محصنة اسمها شيزر قريبة من مدينة حلب المعروفة ، وكانت إمارة مستقلة بين الامارات الاسلامية العديدة ، التى وجدت فى تلك الجهات من سوريا ؛ وكانت هذه الامارات لا تنتأ تتطاحن فيما بينها ، وبذلك وجد الأعداء من الفرنج سبيلا إلى الدخول . ولا ريب فى أن صغر هذه الامارات وضعفها ، مع حب الأثرة التى تملأ نفوس زعمائها جعلتها تسلك سياسة أقل ما يقال فيها ، إنها معوجة ، وإنها أحيانا تستحل الغدر والخديعة .

غير أن أسامة لم يتول إمارة شيزر فقد تولى الامارة بعد أبيه عمه ، وتوجس منه خيفة ، فاضطر إلى ترك وطنه ، وربما كان ذلك من محاسن المصادفات ؛ إذ بعد وفاة عمه تولى ابن عمه الامارة ، وحدث فى عهده زلزال مخيف هدم فيما هدم من مدن سوريا حصن شيزر وقضى على جميع آل منقذ وقد كانوا مجتمعين فى وليمة ، ولم ينج منهم إلا من كان خارج البلاد ومنهم أسامة

عاش أسامة عيشة فارس من فرسان البلاد الاسلامية ، ورسم فى كتابه صورة حية لحياة الفرسان فى عصره ، وهى لا تختلف فى كثير عن صورة أمثالهم من فرسان الغرب ، فيها البطولة والشجاعة وجرأة الحياة وتقلبها ، وفيها الخديعة والدسيسة والغدر ، فهى صورة تجمع بين قوة السيف وقوة القلم . فقد كان أسامة محاربا قويا ، وكان كذلك أديبا له شعر وله رسائل ، بل كان أديبا متفوقا على كثيرين من أدباء عصره ، ويكفى أن تقارن نثره فى كتاب الاعتبار بنثر العماد الأصفهانى مؤرخ صلاح الدين فى كتابه عن حياة هذا العاهل الاسلامى ، لتعرف قيمة أسامة فى نثره السهل وحكايته الطلية على غير ما هو مألوف فى زمنه من استعمال السجع والمحسنات البديعية التى تكاد تخفى معالم المعنى .

على أننا قبل أن نحاول قراءة أسامة الذى عنى به الأوربيون عناية كبيرة يجب أن نعرف تاريخه وتاريخ زمنه ، ومن محاسن المصادفات أن وضع لنا الاستاذ محمد أحمد حسين كتابا عن أسامة ، وهو كتاب عزيز المادة دقيق فى تحقيقاته ، وهو يصف لنا حياة أسامة بن منقذ وما كان فى زمنه من أحداث خير وصف . ويزودنا بكل المراجع التى يمكن أن يحتاج إليها الباحث فى هذا الباب . وهو كتاب يدل على نهضة حقيقية فى فن كتابة التاريخ قام بها مؤلف جدير بهذا العمل بفضل دراساته وثقافته .

اسماعيل وهو مجموعة وثائق نشرها باللغة الفرنسية الأستاذ جورج جندى بك والأستاذ جاك تاجر (مطبعة المعهد الفرنسى)

من أثمن المجموعات التاريخية القيمة التى ظهرت فى عالم الطباعة الفرنسية بمصر تلك المجموعة من الوثائق الرسمية عن المغفور له الخديوى إسماعيل ، وهى التى قام على نشرها كل من العالمين الفاضلين جورج جندى بك رئيس المحفوظات التاريخية وجاك تاجر بك امين المكتبة الملكية الخاصة بالقصر الملكى ؛ فان نشر مثل هذه الوثائق الرسمية مما يساعد الباحث فى تاريخ تلك الحقبة على تعرف الحقيقة فى عصر زاه يعد من أهم عصور تاريخ مصر الحديث . ولا ريب فى أن مصر إذا كانت قد عرفت معنى الاستقلال فى عهد مؤسس الدولة العلوية

بعد أن فقدته فترة طويلة ، فان نهضتها الحقيقية ، ومجاراتها لتيار الحياة المدنية ، ودخولها معترك هذه الحياة على قدم المساواة مع الدول الأوربية ، واتجاهاتها إلى المدنية الحديثة ، كل ذلك قدم فى عهد المغفور له الخديوى إسماعيل .

وهذه الوثائق تطلعنا على جوانب العظمة فى كثير من تصرفات هذا العاهل . وإنا لنرجو أن يصدر المؤلفان الطبعة العربية منها قريبا فيكون فضلهما على الباحثين فى تاريخ هذه الفترة مضاعفا .

ألفريد دى موسيه بقلم الأستاذ صلاح الدين الشريف (مطبعة المقتطف والمقطم)

هذا الكتاب من لواحق المقتطف الشهرية وأخشى أن يكون الحصول عليه صعب المنال . ولكنى رأيت فيه من أناقة الأسلوب وحسن السرد ما أحببت معه أن أنوه بمؤلفه الفاضل ، وأرجو أن ارى له فى المستقبل القريب من الكتب الادبية أو القصص ما يضيف به جديداً إلى المكتبة العربية . فان هذه اللواحق بطبيعة الحال محدودة الحجم لا تتسع للافاضة فى البحث .

حسن محمود

التعليم فى رأى القابسى للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة)

نواة هذا الكتاب رسالة مخطوطة فى التربية وضعها الحافظ المحدث أبو الحسن على ابن محمد بن خلف القابسى فى القرن الرابع للهجرة ، وعنوانها على ما يرجحه الدكتور الأهوانى : «الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين » .

وهى مخطوطة فريدة ليس منها إلا نسخة واحدة فى المكتبة الأهلية بباريس ، كتبها ناسخها فى أوائل القرن الثامن للهجرة .

والقابسى فقيه محدث مكفوف البصر مغربى النسب والدار ، توفى فى أوائل القرن الخامس للهجرة ، وله مؤلفات عدة من بينها هذه المخطوطة التى وقع عليها الدكتور الأهوانى فجعلها نواة بحثه هذا الممتع الذى حصل به على الدكتوراه من جامعة فؤاد الأول ، ثم جعله بين دفتى هذا الكتاب .

وعنوان الكتاب لا يدل على كل ما اشتمل عليه ، فما كان أجدره لو أراد المطابقة بين الاسم ومسماه أن يجعل عنوانه « التربية عند العرب على توالى العصور » . بل لعل هذا العنوان لا يدل كذلك على الكتاب دلالة الوصف على موصوفه ؛ فقد كانت نظرة المؤلف فى موضوعه شاملة محيطة تتجاوز الأبعاد والمسافات وتتناول الموضوع من أقصى مراميه ، فلم يقتصر فى بحثه على عرض رأى القابسى فى التعليم ونقده والموازنة بينه وبين آراء غيره من أهل النظر فى هذا الفن ، بل جعل هذا البحث نواة لحديث صافى الذيول واسع المدى يتناول فنون التربية من قريب ومن بعيد ، فى أسلوب مرسل وعرض منطق سليم .

وكانت القاعدة الأساسية التى انبنى عليها البحث بكل ما تناوله من الأصول والفروع ، هى « أن تفسير حالة التعليم فى عصر من

العصور يقتضى النظر إلى آراء المربين وصلة آرائهم بالمذاهب العقلية التى يعتنقونها، ويقتضى النظر إلى حالة المجتمع الذى تفرع عنه التعليم كمظهر من مظاهر الحياة العقلية » .

على هذه القاعدة راح المؤلف يفصل آراء القابسى فى التعليم ، ويحاول تعليل أسباب الخلاف بينها وبين آراء غيره من أهل النظر فى هـذا الفن ، فيربط بين رأى كل منهم ومذهبه ، وبينه وبين الحياة الاجتماعيـة فى عصره . وفى سبيل تأييد هذه الفكرة أورد ما أورد من آراء الغزالى وابن سينا وابن خلدون وإخوان الصـفا وغيرهم من ذوى المذاهب الفلسـفية أو النزعات الصوفية أو السلفيين أو أهل الفكر الحر ، وأوضح فى جلاء كيف كان اختلاف مذاهبهم العقلية ذا أثر واضح فى اختـلاف رأيهم فى التعليم ، وكيف كانت الحياة الاجتماعية فى عصر كل من هؤلاء ذات أثر كذلك فى تلوين آرائهم .

وقد قسم المؤلف كتابه فصولا ؛ فكان الفصل الأول عن حياة القابسى ، والثانى عن بيئته وطريقته فى التأليف ، والفصول التالية بعد هذين عن تاريخ التعليم ووسائله وأهدافه ومظاهره واختلاف أحواله عند المسلمين على اختلاف العصور ، ثم كان الفصل العاشر إجمالا لآراء المسلمين فى التربية والتعليم . وجاءت الخاتمة بعد ذلك تقرر القاعدة التى بنى عليها المؤلف بحثه ؛ فاذا انتهى مما أراد جعـل رسالة القابسى ذيلا لكتابه، فنشرها مصححة مضبوطة مبوبة على ما وسـعه الجهد . فهما إذن كتابان لا كتاب واحد، فمن شاء فليلتمس النفع حيث أراد : من كلام الأهوانى فى صدر الكتاب، أو من رسالة القابسى فى ذيله، فسيجد هنا وهنالك شيئا يستحق أن يفرغ له وقتاً يطول أو يقصر ، ينشد أسباب اللذة والمنفعة جميعاً .

الرءوس بقلم مارون عبود (منشورات دار المكشوف — بيروت)

قلت لنفسى حين مضيت فى قراءة الفصول الأولى من هذا الكتاب : هذا كتاب يستحق أن يقرأه كل أديب فى العربية ؛ إنه كتاب جديد . . . جديد جداً . . . إنه « فن » لم يسبق إليه سابق — أعرفه — فى العربية ! . . .

. . . ومضيت فى قراءته ؛ إننى لا أريد أن يفوتنى هذا « الجديد » .

هذا كاتب من كتاب العربية يعالج « علم الأدب » فى أسلوب من أساليب « الفن » ، وللعلم أسلوب غير أسلوب الفن ؛ فلعله أراد أن يقتحم على غير « أهل التخصص » فيحملهم بلطف حيلته على الدخول من البـاب حين يسوق إليهم « العلم » فى هـذا الأسلوب « الخطابى » الرشيق .

وكان عنوان الكتاب فنا من فن الكاتب، فهو يسـميه « الرءوس » ، والرءوس هى تلك الكرات القائمة على أعناقها بين أكتاف الناس وكواهل الحيوان ، ولكن لهذا اللفظ مع ذلك معانى جمة فى أذهان قرائه ، وإنما يريد المؤلف معنى واحداً من تلك للمعانى ، فهو إنما يريد أن يتحدث عن « رؤسـاء » الأدب فى العربية منـذ كانت العربية ، أو بعبارة أخرى : يريد أن يتحدث عن زعماء الشعر فى العربية على اختلاف العصور . فذلك هو موضوع الكتاب كما يبدو لى ، وقد اختار أن يكون عنوانه «الرءوس» وليس بين كلمتى الرءوس والرؤساء كبير فرق فى المعنى ولا فى الاشـتقاق اللغوى ؛ فهو عنوان صادق الدلالة على موضوعه ، ولكنه عنوان « خطابى » كذلك !

وليس من شأني في هذا الباب ان أنقد ، وإلا لوجدت مجال القول ذا سعة ، وإنما كل قصدي هو التعريف والبيان والعرض ؛ فليس من شأني إذن أن أتتبع آراء المؤلف فأزعم أنه أصاب الرأي في كذا وكذا واخطأه في كيت وكيت ، وإنما لي شأن آخر ، ولكن ذلك لا يمنعني — على كل حال — أن أصرح عن إعجابي بالكاتب وكتابه ، فان في طبيعتي العنف والثورة ، وفي هذا الكتاب عنف وثورة ، وحسبه هذا إحسانا يستر ما وراءه .

والآن ما هي هذه الرءوس ، أو من هم أولئك الرؤساء في الشعر العربي ؟

هذه فصول متتابعة ، يتحدث فيها المؤلف عن الأوائل في الجاهلية ، فيأخذ في نوع من الحديث عن امرئ القيس ، وطرفة ، وزهير ، وعنترة ، وغيرهم من الأوائل ، في أسلوب طريف ورأى . . .

ثم يمضي في الحديث عن الشعر بعد الاسلام ، ويفيض فيما يصف من شعر عمر بن أبي ربيعة « أبي جوان » أو دون جوان العربي كما يريد أن يصفه ، وشعر جرير ، فيسمي العصر الأموي بهذين الشاعرين : عصر الهجاء ، وعصر الغزل . ولعله فيما كتب من هذا الباب لم يأت بجديد في الرأي ، ولكن له أسلوباً وفناً جديدين ، وعلى مائدته كثير من التوابل !

ثم يتحدث عن عصر الترف أيام العباسيين ، ويتعقب أبا نواس شاعر الخمرة ، أو شاعر الخلاعة ، ثم يمضي في آثار بشار بن برد ، زعيم الخلعاء ، فيصف من خبره ، ومن شعره ، ويصور نفسيته تصويراً بارعاً رشيقاً ، كأن قد رأيته وجلست إليه وعايشته وكشفت عن مكنون صدره . فاذا فرغ من بشار تحدث إليك عن المعاصرين الأربعة : أبي تمام ، ودعبل ، وابن الرومي ، والبحتري ؛ فاذا بلغ المتنبي سماه « الرأس الضخم » . وهنا نترقب ما يقول الأستاذ مارون عبود عن المتنبي ، ذلك الرأس الضخم الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، ولكنه لا يتحدث إليك عن المتنبي ، وإنما يتحدث عن طه حسين .

ويمضي في الحديث عن طه حسين وقد خيل إليه أنه يتحدث عن المتنبي ، حتى يستغرق من الكتاب ما يقرب من مائة صفحة في مناقشة كتاب طه حسين « مع المتنبي » . وحسبه حديثاً عن المتنبي أن يستغرق هذا القدر من صفحات الكتاب في مناقشة كتاب ألفه طه حسين عن المتنبي .

ماذا قال ؟ لا أدري ! ليس هذا شأني ولكنه شأن الناقد ؟

وكأنما كان انقطاعه عن موضوع الكتاب في هذه الصفحات التي تقرب من المائة سبباً إلى عدوله عن النهج الذي التزمه في الفصول الأولى من الكتاب ؛ فلما هم أن يرجع نسي موضوعه وعدل عن طريقته ، فجاء حديثه بعد ذلك عن الشريف الرضي على أسلوبه في الحديث عن المتنبي ؛ فلم يكتب عن الشريف وإنما كتب عن زكي مبارك والدكتور محفوظ ؛ ينقد كتابيهما عن الشريف الرضي ويغرقهما بفنه اللاذع .

ثم تأتي بعد ذلك فصول قصيرة عن بعض الرءوس الصغيرة ، فيتحدث عن البهاء زهير وابن نباتة وابن الفارض ، ويختم الرءوس بالحديث عن أحمد شوقي ، وفصل أخير عن الشعر بين الناقد والمعلم .

هذا هو الكتاب . وما أراني قد وصفته كما هو في نفسه ، وكما وقعت صورته في نفسي ؛ وما يطيب لي أن أفرض على القراء صورة لعلها في مرآتهم غير ما هي في مرآتي ؛ فلست أنصحهم إلا بأن يقرءوا ذلك الكتاب ، فان فيه فناً جديداً . . .

محمد سعيد العريان